ISSN: 2090 – 0449 Online
ISI International Scientific Indexing, [8140].
AIF Arab Impact Factor for Arabic Scientific Journals, [1.1].

الموروث الحضاري في تعامل الإنسان العُماني مع الآخر
في التاريخ الحديث والمعاصر

د. يحيى محمد أحمد غالب
أستاذ التاريخ الحديث والمعاصر المساعد
قسم العلوم الإنسانية - كلية الآداب والعلوم
جامعة قطر – دولة قطر

مُلَخّص

وسط الصراعات والتحالفات والتجاذبات والعدوات وتشابك المصالح على المستوى المحلي والإقليمي وحتى الدولي، تتخذ عُمان موقف المحايد مفضلة عدم التدخل والوقوف على مسافة واحدة من جميع الأطراف. هذا الثبات والاستقرار في السياسة الخارجية العُمانية، يجعلنا نقلب صفحات الماضي العُماني لمعرفة التطور التاريخي لهذا الأسلوب والموروث الحضاري العُماني في التعامل مع الآخر؛ والمقصود بالآخر كل ما هو دون عُمان الأرض والإنسان سواء كانوا جيرانها في منطقة الخليج أو القريبين منها في البلاد العربية والعالم الإسلامي أو البعيدين عنها في المجتمع الدولي. تسعى هذه الدراسة إلى تتبع تعامل الإنسان العُماني مع الشعوب والمجتمعات الأخرى عبر العصور التاريخية، سواء كان ذلك بصورة فردية تتناول سلوك الإنسان العُماني وتعامله مع الآخرين أو بصورة رسمية بواسطة السلطة الحاكمة العُمانية وعلاقتها الخارجية مع الدول الأخرى، وهذا كله ما هو إلا نتيجة للموقع الجغرافي للأرض العُمانية وتفاعل الإنسان العُماني مع أهمية هذا الموقع ودوره الحضاري في قيام علاقة متنوعه مع الحضارات الأخرى في مختلف مجالات الحياة الاقتصادية والسياسية والاجتماعية والدينية والثقافية، وكيف كان هذا الموقع محل أطماع من الآخرين وكان يمكن أن يصبح مكانًا للصراع بين الطامعين فيه، ومكان انطلاق للراغبين في إلحاق الأذى بمن حوله، ولكن حكمة الإنسان العُماني أدركت أهمية وخطورة الموقع الجغرافي لبلدهم فاتخذوا أسلوب حضاري في التعامل مع الآخر بما يجنب بلدهم كل هذه المخاطر مستندين في تحقيق ذلك على الإرث الحضاري الإنساني الذي صبغ الشخصية العُمانية بصفات إنسانية توارثتها الأجيال عبر الزمن وكانت محل تقدير كل من تعامل مع الإنسان العُماني سواء كان ذلك في داخل عُمان أو في المناطق التي وصل إليها النفوذ العُماني في قارتي أسيا وأفريقيا. وتنتهي الدراسة بمعرفة الموروثات الحضارية التي ارتبطت بالموقع الجغرافي لعُمان والموروث الحضاري الإنساني للشخصية العُمانية بالإضافة إلى الموروثات الحضارية الاقتصادية والدينية والسياسية، وصولًا إلى النتائج التي تم التوصل إليها والمراجع التي تم الاستناد عليها.

بيانات الدراسة:

تاريخ استلام البحث: ٢٨ أكتوبر ٢٠١٩
تاريخ قبول النشر: ٢٥ نوفمبر ٢٠١٩

كلمات مفتاحية:

عُمان؛ الإنسان العُماني؛ الإرث الحضاري؛ الخليج العربي؛ الموروثات الحضارية

معرِّف الوثيقة الرقمي: DOI 10.12816/0057049

الاستشهاد المرجعي بالدراسة:

يحيى محمد أحمد غالب. "الموروث الحضاري في تعامل الإنسان العُماني مع الآخر في التاريخ الحديث والمعاصر".- دورية كان التاريخية.- السنة الثانية عشرة- العدد السادس والأربعون: ديسمبر ٢٠١٩. ص١١٩ – ١٣٠.

مُقَدِّمَةُ

لم يعدّ الماضي كله يثير الفضول لمعرفته والاطلاع عليه، وفي الوقت نفسه لا نستطع الاستغناء عنه وخاصةً الذي لاتزال آثار ملامحه في الحاضر الذي نعيشه، وينطبق هذا على الدور الحضاري في التاريخ البشري، الذي يتم توارثه عبر الأجيال المتعاقبة. وغالبًا ما يرتبط الموروث الحضاري لشعب من الشعوب في تعامله مع الآخرين بثلاثة مؤشرات زمنية ومؤشرين عمليين، أما الزمنية فهي ترتبط بماضي مفقود

يتضمن الإرث التاريخي لهذا الشعب في مختلف مجالات الحياة، وحاضر موجود هو نتيجة لما كان في الماضي من انتكاسات أو منجزات ومدى قدرة الشعوب على المحافظة عليها أو هدمها، ومستقبل موعود يكون نتيجة للحاضر ويتوقع فيه أن تسعى الشعوب الإنسانية إلى تجاوز سلبيات الحاضر وتطوير الإيجابيات.

وأما المؤشرين العمليين فقد يكون سلبي بعدم المشاركة في كل ما يؤدي إلى الحاق الأذى بالآخرين والحفاظ على علاقة متميزة معهم، وقد يكون إيجابي بالمساهمة وبذل الجهد في حل الخلافات وتقريب وجهات النظر بين الشعوب الأخرى. وبذلك يكون اتخاذ الحاضر نقطة انطلاق للبحث وتقليب صفحات الماضي لمعرفة كيف تشكل حاضرنا؟ ما يحقق الهدف الأساسي للتاريخ، وهو فهم الحاضر لكي يساعدنا في رسم ملامح المستقبل، خصوصا وأن مهمة الباحث لم تعد تقتصر على إيراد المعلومات والأحداث من المراجع والمصادر، وإنما تكون مهمته الأساسية هي معرفة مدلول الحدث باعتباره نتيجة لما قبله ومؤثرًا في الأحداث التي بعده، ولا تتوقف أهميته على قوة تأثيره في وقت حدوثه، وإنما على بقاء هذا الأثر ودوره في تشكيل المستقبل في حينه، والذي أصبح اليوم هو الحاضر الذي نعيشه.

والمتأمل للحاضر اليوم في تعامل الإنسان العُماني مع الآخرين والسياسة الخارجية التي تتبعها دولة عُمان في علاقتها مع الدول القريبة منها والبعيدة عنها وتميزها بالثبات والاستقرار واتخاذها موقف الحياد وعدم التدخل في شؤون الآخرين وتطويرها لهذا الموقف بالتوسط في حل الخلافات واحتضانها للحوار بين عدد من الأطراف المختلفة والمتصارعة، يجعلنا نشعر بأهمية هذا الموضوع وحاجته للدراسة التاريخية من أجل الإجابة على عدد من التساؤلات منها، هل هذه الطريقة والسياسة المتبعة وليدة الحاضر؟ أم إنها تستند على ارث تاريخي يعود للماضي البعيد؟ وماهي المقومات التي ساعدت على البقاء والاستمرار؟ وهذه التساؤلات تمثل مكونات مشكلة الدراسة وتجعلنا نضع الفروض المحتملة للإجابة عن هذه التساؤلات وهي أن الأسلوب العُماني في التعامل مع الأخر والطريقة التي تدير بها سياستها الخارجية وعلاقتها مع الدول الأخرى ليست جديدة وإنها تستند على أرث حضاري استمر عبر العصور التاريخية المتعاقبة وقد ساعد على هذا البقاء والاستمرار والتطور مجموعة من العوامل والموروثات الحضارية العُمانية.

وقد تمت معالجة هذا موضوع هذه الدراسة وفق المنهج التاريخي وذلك بعرض الأحداث المرتبطة بالدور الحضاري العُماني مع الآخرين عبر الزمن، والاستعانة بالمنهج التحليلي الاستنتاجي لاستخلاص مدلول الأحداث التاريخية التي مرت بها عُمان وتدل على أثر الموروث الحضاري في تعامل الإنسان العُماني مع الآخر في العصر الحديث وعلاقته مع غيره، رغم تغير الظروف وتباعد الأعوام والسنوات.

ومما يجدر الإشارة إليه أن هذا البحث لا يهدف إلى السرد التاريخي الذي يهتم بإيراد المعلومات من المراجع التي تحدثت عن أهمية موقع عُمان وعن دور الإنسان العُماني في مختلف مجالات الحياة وعبر العصور التاريخية المتعاقبة لأن ذلك قد تم تناوله من قبل في عشرات الأبحاث والمؤلفات والمخطوطات والدراسات الأكاديمية، ولكنه يسعى إلى استنتاج المدلول التاريخي لهذه الأحداث، وكيف كان يتعامل الإنسان العُماني مع هذه الأحداث في الماضي ومقارنة ذلك بالتعامل معها في الوقت الحاضر لمعرفة مدى ثبات هذا الأسلوب واستمراره عبر التاريخ.

ولتحقيق ذلك تم تناول الأحداث التاريخية التي مرت بها دولة عُمان وتفسير ردود فعل الإنسان العُماني وطريقة تعامله مع الأخرين، استنادًا على الإرث الحضاري للموقع الجغرافي لدولة عُمان، ودور هذا الموقع عبر تعاقب سنوات التاريخ في التواصل بين الشعوب الإنسانية في حالة الحروب والسلام. كما تم تناول الإرث الحضاري الإنساني، والمتمثل بالإنسان العُماني الذي أدرك أهمية موقع بلده وتفاعله الحكيم مع الآخرين بما يحافظ على سلامة بلده وبما يمكنها من القيام بدور حضاري متميز في التاريخ الإنساني، وتوارث الأجيال العُمانية للصفات الإنسانية التي جعلتهم محل تقدير واحترام لدى الشعوب الأخرى.

بالإضافة إلى الإرث الحضاري الاقتصادي الذي استند على أهمية الموقع الاستراتيجي لعُمان على طريق التجارة العالمية، والجهود التي بذلها الإنسان العُماني في تقوية العلاقة الاقتصادية بين بلده والبلدان الأخرى متجاوزا الخلافات والصراعات التي تدور حوله وتحويل بلده إلى ملتقي لتبادل المنافع الاقتصادية بين الحضارات الإنسانية. وفي الوقت الذي

كان للديانات والمذاهب الدينية دور في اشتعال الخلافات والصراعات بين اتباع الديانات أو بين المنتمين للمذاهب المختلفة في الديانة الواحدة نجد الإنسان العُماني يستند على أرث حضاري ديني ساعده في النأي بنفسه وبلده عن هذه الصراعات باتباعه لمذهب ديني لم يدخل في صراع مع المذاهب الأخرى ولم يحاول فرض نفسه على غير المقتنعين به، كما أنه انفتح على جميع المذاهب ومنح الآخرين حرية ممارسة شعائرهم.

ونختتم الموروثات الحضارية للإنسان العُماني بتناول الإرث السياسي، الذي كان له نصيب كبير في هذه الدراسة نظرا لأهميته ودوره في تحديد نوعية العلاقة بين الدول والمجتمعات البشرية، وكيف نجح الإنسان العُماني في اتباع سياسة متوازنة عبر التاريخ رغم تعاقب الأجيال وتغير الظروف والأحداث التي مرت بها المنطقة المحيطة بعُمان أو البعيدة عنها. وبواسطة تناول هذه الموروثات الحضارية التي تبين كيف كان يتعامل الإنسان العُماني مع الآخرين في الماضي البعيد وفي الحاضر القريب، وكيف أظهرت عُمان قدرة فائقة في التعامل مع الآخرين في هذا المجال؟ فلم تدخل في صراع سياسي أو ديني مع المحيط العربي أو مع الجوار الإسلامي واحتفظت بعلاقة متميزة مع جميع الفرقاء القريبين منها والبعيدين عنها، وكيف يمكن استغلال هذا الرصيد الحضاري وتحويله إلى دور إيجابي يساهم في حل الخلافات وتقريب وجهات النظر بين الفرقاء على مستوى منطقة الخليج والعالم العربي والإسلامي.

أولاً: الإرث الحضاري للموقع الجغرافي

ترتبط أهمية المكان أو الموقع الجغرافي للدول بمدى أهميته للبشر- الذين يستوطنوه وبمدى اهتمام الشعوب الأخرى به، وصعوبة تجاوز هذه الأهمية أو التغافل عنها عبر سنوات التاريخ المتعاقبة، صحيح أن هذه الأهمية نسبية وغير ثابتة، فهي تظهر وتختفي من وقت إلى آخر حسب الظروف التي يعيشها أو الظروف المحيطة به أو بمدى الاهتمام أو التجاهل الذي تبديه الشعوب الأخرى نحوه. فهناك مواقع دول كان لها شأن كبير في التاريخ القديم، وفجأة اختفى ذلك الدور وتلك الأهمية في العصور الوسطى وقد يعود مرة أخرى ليحتل نفس الأهمية وربما أكثر في العصر الحديث، ومواقع أصبح لها مكانة وأهمية في الحاضر ولم يكن لها شأن يذكر لافي القديم ولا في الوسيط. ويعد موقع عُمان من المواقع التي كان لها أهمية كبيرة في الماضي ومازالت تلك الأهمية مستمرة إلى وقتنا الحاضر وهنا نتسأل ما هو الجديد الذي يقدمه موقع عُمان ويجعله يقوم بدور حضاري ثابت في الماضي والحاضر ويجعله مؤهلا للقيام بدور استثنائي في المستقبل؟

إن هذا الثبات للأهمية الاستراتيجية لموقع دولة عُمان عبر العصور التاريخية يمنحها مكانة حضارية في التاريخ الإنساني، فهي تقع في جنوب شرق الجزيرة العربية وتحيط البحار بها من ثلاث جهات، بحر العرب من الجنوب وخليج عُمان من الشرق والخليج العربي من الشمال والربع الخالي من الغرب، وهي جهة عازلة طاردة حتمت على العُمانيين التوجه نحو البحر، ولذلك فقد نشأ العُمانيون في بيئة بحرية مثالية لعدة أمور منها: ما تتمتع به بلادهم من سواحل طويلة ممتدة على تلك البحار، وموانئ طبيعية صالحة لرسو السفن، وموقع جغرافي ممتاز على مدخل الخليج العربي، ذلك الممر الهام على مر العصور الذي اكتسب أهمية جغرافية وتجارية وسياسية عظيمة، وبهذا الموقع أصبحت عُمان مركزًا وسطًا بين منطقة القرن الأفريقي بساحل شرقي أفريقية من ناحية، وبلاد الهند وما خلفها من ناحية ثانية، ومنطقة الخليج وما خلفها من ناحية ثالثة، هذا الوضع حتم على العُمانيين العمل في البحر فمارسوا فيه شتى أنواع الأنشطة الاقتصادية من صيد وغوص وملاحة وتجارة، كما كان لهم دورهم الفاعل في الجوانب السياسية والعسكرية[١]

ومن العجائب الطبيعية التي توفرت لموقع عُمان أيضا أنها إقليم مستقل من الناحية التركيبية لا يتبع الكتلة العربية القديمة في غرب الجزيرة العربية، بل هو متأثر بالحركات الإلتوائية التي كونت جبال زاجروس وطوروس في الزمن الثالث.[٢] ويحسب لعُمان قيامها بتفاعل حضاري مع هذا الجزء من الطرف الآخر للخليج العربي فقد تم لهم استيطان الساحل الشرقي من الخليج العربي وقاموا بدور كبير في هذه المنطقة تشير إليه الكثير من المصادر التاريخية الإسلامية[٣]. وقد ساهم موقع عُمان، والموانئ التي يطل عليها في صقل الوظيفة الاقتصادية للعُماني؛ لأنه يقع على طرق التجارة الدولية المارة في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر وتلك الطرق تعبرها السفن المحملة بالسلع التجارية المحلية، والسلع القادمة من الهند وإفريقيا والعائدة إليهما. وظل هذا الموقع يوصل أهله بالعالم الخارجي.[٤]

وهكذا نجد أن الموقع الجغرافي لموانئ عُمان قد جعلها مركزًا مهمًا لتجارة العبور استيرادًا وتصديرًا بين أسواق العالم المعروفة وربطها بالطرق التجارية العالمية آنذاك، وهذا ما اكسب عُمان خصوصية في التجارة العالمية، إذ اشتهرت موانئها بكثرة تجارها ووفرة تجارتها وسعة مالها وغناها... كما أن موقعها جعلها بوابة الخليج العربي الأولى إلى شرق إفريقيا، التي امتازت بخيراتها الوافرة... ولذلك قام العُمانيون بنقل معظم تجارة الساحل الإفريقي الشرقي إلى عُمان ليعاد تصديرها إلى المراكز التي تطلبها[٥] ولذلك لا تخلوا المصادر التاريخية والجغرافية القديمة والحديثة من الإشارة إلى موقع عُمان وأهميته بمفهومة التاريخي الكبير الذي يضم مساحة أكبر مما هي عليه اليوم أو إلى إقليم أو منطقة أو مدينة تمثل اليوم جزءا من دولة عُمان في الوقت الحاضر.

هذا الموقع الجغرافي لدولة عُمان جعلها ملتقي للشعوب العربية والإسلامية القادمة من المناطق المجاورة لها في الوطن العربي والدول الإسلامية في أسيا وأفريقيا، فتبادلوا المنافع التجارية فيها ولمن قدر لهم البقاء فيها نجدهم قد عاشوا إلى جوار بعضهم البعض في محبة وسلام، رغم تنوع الأجناس وتعدد المذاهب الدينية. ومازال هذا حالها إلى وقتنا الحاضر فقد احتفظت عُمان بأهمية ومكانة موقعها الجغرافي وموروثها الحضاري الذي يمنح الآخرين فرصة العيش على أرضها مع أبناء الشعب العُماني مهما تعددت الأعراق واختلفت الديانات.

ثانيًا: الإرث الحضاري الإنساني

تتغير طبيعة الإنسان وسلوكه ومقومات شخصيته مع تغير الظروف المحيطة به في المكان الذي يعيش فيه؛ فلا تمر سنوات الشدة والرخاء وسنوات السلام والصراع إلا وتترك أثرها في شخصية الإنسان، ولا تخرج عن هذه القاعدة سوى الشعوب الحضارية التي ترسخت القيم الإنسانية في جيناتها وهذا ما نجده في أبهى صوره في الشخصية العُمانية التي احتفظت بهذه القيم عبر الزمن ويؤكد ذلك شهادة الذين عاصروا الشخصية العُمانية منذ قديم الزمن وحتى اليوم فهذا جون أو فجتن، الذي زار عُمان عام ١٦٩٣م، يقول في وصف الشخصية العُمانية (إن هؤلاء العرب على قدر كبير من دماثة الخلق، يظهرون لطفًا وكرمًا كبيرين للغرباء، فلا يحتقرونها ولا يلحقون بهم أذى جسديًا. وهم على تشبثهم الثابت بمبادئهم والتزامهم الراسخ بدينهم، لا يفرضون تلك المبادئ وذلك الدين على الآخرين. كما انهم لا يغالون بالتمسك بها مغالاة تجردهم من إنسانيتهم أو من حسن معشرهم؛ فالمرء يقطع في بلادهم مئات الأميال دون أن يتعرض للغة نابية أو لأي سلوك فج)[٦]

هكذا كانت الشخصية العُمانية قبل خمسة قرون من الزمن فماذا يمكن أن يقال عنها اليوم؟ الكل يجمع على أنها لاتزال متمسكة بنفس القيم الإنسانية الحضارية رغم تبدل الظروف وتغير الأحوال. فقد ظلت القيم الحضارية والأخلاق العالية التي يتمتع بها الإنسان العُماني في سفره وأثناء معاملاته التجارية وعلاقاته الفردية مع السكان الذين عاملهم، واحتك بهم في معاملاته تستند على أساس الانتماء إلى المبدأ والأصل، مما ساهم في تقوية العامل الحضاري المؤثر، واكسب عُمان سمعة حضارية كبيرة.[٧]

ثالثًا: الإرث الحضاري الاقتصادي

تبرز أهمية عُمان الاقتصادية من ارتباط اسمها بأعرق الحضارات الإنسانية في التاريخ القديم بحكم موقعها الجغرافي في بلاد العرب الذي جعلها من أكثر بقاع بلاد الجزيرة خصوبة ونماء وازدهارًا، ومكنها من التواصل سواء عن طريق البر أو البحر بالمراكز الحضارية الثلاثة المهمة وهي: مصر في الشمال الغربي وبلاد ما بين النهرين في الشمال الشرقي وفارس إلى الشرق.[٨] وقد كان للنشاط التجاري دور كبير في هذا التواصل، فحضارة بلاد الرافدين تشير إلى صلاتها البحرية مع دلمون (البحرين) وماجن Magan (عُمان)، وتؤكد على أن الملك سرجون الأكدى قد جلب من هذين البلدين سفنا محملة بالنحاس وأفرغ حمولتها في عاصمته أكد[٩].

وقد استغل الإنسان العُماني في التاريخ القديم هذا الموقع المتميز لبلده، فلم يكتف بانتظار الشعوب الأخرى لتصل بتجارتها إلى عُمان بل نجده مع الحضارمة والحميريين ينطلق على رأس تجارة بحرية وصلت إلى القرن الأفريقي وساحل أفريقيا الشرقي، وإلى الهند وجزر الملايو وإندونيسيا ليصبح لهم مع الزمن في هذه المناطق جاليات وتربطهم صلة قوية بأهلها.[١٠] ومما ساعد عُمان على القيام بدور كبير في النشاط التجاري في التاريخ القديم، اندلاع الصراعات في المناطق القريبة منها أو البعيدة عنها، فخلال القرنين السابقين لظهور الإسلام تعرض الطريق البحري بين بغداد وكانتون في الصين إلى نكسة بسبب الصراع بين البيزنطيين والفرس، والحروب التي اندلعت بين القبائل

العربيـة، فأصـبحت عُـمان ومينـاؤهـا مسـقط قاعـدة للنشاط البحري بين الخليج العربي والهند والصين.[١١]

ويبرز الدور الحضاري لعُمان المكان والإنسان في التاريخ القديم من خلال عدم اشتراكها في الصراع، بل كانت ملتقي للطرفين المتحاربين وسببا في خلق نوع جديد من العلاقة تقوم على تبادل المنفعة باحتضانها للتجار الفرس والرومان واستمرار علاقتها التجارية معهما.

ونتيجة لهذا الدور والمكانة وأسلوب التعامل الذي اتبعه الإنسان العُماني لا يستطع باحث في التاريخ القديم أن يتحدث عن أهم الموانئ والمراكز التجارية المطلة على البحار والمحيطات والتي كان لها نصيب أو دور كبير في النشاط الاقتصادي دون أن يذكر عُمان أو منطقة تنتمي لها باعتبارها واحدة منها أن لم تكن أهمها.

ومثلما سار عليه في التاريخ القديم، استمر الإنسان العُماني بالقيام بدوره الحضاري في العلاقات التجارية بعد ظهور الإسلام، مستغلاً الفوائد التي تحققت بفضل موقع عُمان البعيد عن مناطق الصراع التاريخي بين الفرس والرومان وبين العرب والرومان والعرب والفرس؛ وبفضل الحياد الذي اتبعه الإنسان العُماني بعدم الاشتراك في هذه الصراعات؛ توفر نوع من الاستقرار مكنه من تحقيق مكاسب كبيرة في ظل انشغال المنافسين له في تجارة المحيط الهندي، فأصبح لعُمان وأهلها مكانة كبيرة في النشاط التجاري خلال الفترة الإسلامية، ويؤكد ذلك مقدار العشور التي كان يأخذها سلطان عُمان من المراكب التجارية، والتي وصلت إلى ستمائة ألف دينار، بينما وصل مقدار العشور التي تنازل عنها أو أعفى الناس من دفعها ما يساوى مائة ألف دينار، وقد وصلت في بعض الحالات إلى ألف ألف درهم دفعها احد تجار اليهود في عام (٣٠٠هـ/٩١٢م)، لحاكم عُمان أحمد بن هلال.[١٢]

وقد استمرت النجاحات الاقتصادية والحضارية التي يحققها الإنسان العُماني بفضل موقع بلده، فلم تتأثر عُمان بالصراعات التي كانت تدور في المنطقة العربية والإسلامية، على الحكم أو الصراع الإسلامي المسيحي، فيما عرف بالحروب الصليبية، وحتي بعد سقوط الدولة العباسية على يد المغول سنة ١٢٥٨م، واضطراب حالة الأمن على طريق التجارة العالمية في الخليج العربي والعراق، فأصبحت عُمان واليمن تسيطران على الطريق الرئيس الوحيد للتجارة البحرية العالمية القادمة من الشرق الأقصى- والمحيط الهندي إلى أوربا من خلال البحرين العربي والأحمر.[١٣]

ولم تتوقف مكاسب عُمان من دورها التجاري على الجانب المادي فحسب، بل نجد أن هذه العلاقة التجارية المتعددة والمتشعبة مع مختلف بلاد العالم واحتضان عُمان للتجار والعاملين في هذا النشاط قد وفرت لعُمان وأهلها علاقة حضارية مكنتها من التعامل والتعايش مع شعوب العالم المختلفة، فدخل العرب والهنود والفرس في إطار شبكة تجارية واحدة انعدمت فيها الفوارق العنصرية والقبلية والدينية.[١٤] ولم تختلف السياسة الاقتصادية العُمانية باختلاف المكان ففي الوقت الذي امتدت سيطرتها إلى شرقي أفريقيا اتبعت عُمان سياسة الانفتاح وعدم فرض القيود على التجارة، فنجدها تحرص على إشاعة وترويج الفرص التجارية التي تتمتع بها زنجبار، وعملت على جذب التجار من مختلف الجنسيات، وقد كانت هذه السياسة سببًا في عقد كثير من الاتفاقيات والمعاهدات التجارية مع أمريكا وبريطانيا وفرنسا وبعض الولايات الألمانية وغيرها، كما تم السماح لبعض هذه الدول في افتتاح قنصليات أو مراكز تجارية لها في زنجبار[١٥]

وبفضل الدور الحضاري لعُمان في المجال الاقتصادي عبر التاريخ ومرورها بمراحل من الرخاء والازدهار وفترات من التدهور الاقتصادي، جعلت الإنسان العُماني لا يفقد الأمل بوجود الخيرات في الموقع الذي يعيش عليه، وحتى لو تأخر لبعض الوقت فانه قادم لامحالة وهذا ما عاشته عُمان في مطلع النصف الأول من القرن العشرين، وهي الفترة التي كانت حاملات النفط تمر محملة بالخير الوفير الذي يعود على جيرانه في الخليج، إذ كان المعدل اليومي لمرور ناقلات البترول في مضيق مسقط خلال سنة ١٩٥٨م، سبع وأربعون ناقلة في اليوم الواحد وبمعدل ناقلة واحدة كل نصف ساعة سواء كانت محملة بالبترول وذاهبة إلى أوربا أو إلى الشرق الأقصى- أو فارغة وعائدة للخليج لتملئ جوفها بالبترول.[١٦]

وفي ظل هذه التطورات الاقتصادية وظهور الثروة في المناطق القريبة من عُمان ظهرت حكمة الإنسان العُماني، فلم يشكو أو يتذمر ولم يسارع إلى إثارة المشاكل من أجل الحصول على نصيب في هذه الثروة استنادًا على الحق التاريخي الذي كان يمنح عُمان امتدادًا كبيرًا يجعل بعض مناطق إنتاج النفط من أملاكه

القديمة، وسارع إلى إصلاح أوضاعه الداخلية، واستخدام كافة الوسائل التي تساعده في استخراج خيرات بلده وتحقيق رفاهية شعبه. ومما يحسب لعُمان أنها لم تستخدم ثرواتها الاقتصادية في استغلال حاجة الشعوب لتتدخل في شؤونها أو فرض إرادتها عليهم أو السعي إلى تحقيق مكاسب سياسية أو دينية أو تحت أية مسمى مقابل ما تقدمه من معونات أو مساعدات. مما يدل دلالة قاطعة على أن الإنسان العُماني في وقتنا الحاضر لم تتغير معاملته مع الآخر بل ظل محافظًا على موروثه الحضاري ومتأثرًا به.

رابعًا: الإرث الحضاري الديني

مؤشرات الحاضر تقول إن عُمان ليس لها دور في الصراع الديني بين المذاهب الإسلامية ولا تعاني من التشدد والتعصب وظهور الحركات المتطرفة التي تعد آفة الحاضر وتثير القلق وعدم الاستقرار في الكثير من دول العالم. فما هو الإرث التاريخي الذي ساعدها للوصول إلى هذه النتيجة؟

اعتنق العُمانيون الدين الإسلامي في بداية ظهوره ملتزمين بتعاليمه ومؤديين لفرائضه، وعندما أصيبت الدولة الإسلامية بالصراعات الثنائية وبدأت ملامح الانقسام الشيعي السني تتكون في العالم الإسلامي اتخذ العُماني لنفسه مذهبًا دينيًا وجد فيه ما يحقق له النجاح في الدنيا والفوز في الأخرة متمثلا بالمذهب الأباضي، ليكون عاملاً مساعدًا في تحقيق أمن واستقرار بلده، ويحميها من الصراع على المستوى الداخلي أو الخارجي[١٧].

ولم يقتصر دورهم الديني على المساهمة في الفتوحات الإسلامية، ولكن دورها يظهر في إيصال الإسلام إلى مناطق لم تستطع الفتوحات الإسلامية الوصول إليها؛ فإلى جانب نشاطهم التجاري لم ينسوا مهمتهم الأخرى وهي نشر الدين الإسلامي، ومما ساعد على انتشاره أن التاجر العربي المسلم، في سعيه للحصول على الربح في البيع والشراء، كان دائما يبذل جهده في نقل عقيدته وإيصالها إلى جميع أولئك الذين يقدر له أن يتعرف عليهم في رحلاته في الأقاليم التي يذهب إليها. كما أن طبيعة النشاط التجاري يتطلب من التاجر الانفتاح على الناس والتقرب إليهم بالصداقة والمعاملة الحسنة[١٨] وهناك شواهد تاريخية تثبت زيارة بعض العرب للصين في النصف الأول من القرن الثامن الميلادي القرن الثاني الهجر، حيث اشتغل أحد شيوخ الإباضية وهو أبو عبيدة عبد الله ابن القاسم العُماني (وهو عالم وتاجر) بتجارة المر، ويبدوا أن ذلك كان قبل نهب كانتون في سنة ٧٥٨م، أما التاجر الأباضي الأخر فهو النضر بن ميمون الذي عاش في البصرة ورحل إلى الصين في تلك الفترة، ويمكن اعتبار هؤلاء التجار الأباضيين بمثابة ممهدي الطريق للرحالة العرب الذين أعقبوهم،[١٩] وخير شاهد على دور عُمان في نشر الإسلام في منطقة جنوب شرق أسيا والشرق الأقصى.

وإذا كانت العصور الإسلامية قد شهدت على الدور الحضاري لعُمان في إيصال الإسلام إلى أسيا، فان العصر الحديث خير شاهد على دور عُمان المكان والإنسان في وصول الحضارة الإسلامية إلى شرق أفريقيا، فبعد نجاح العُمانيين في دحر الاستعمار البرتغالي وملاحقتهم له في السواحل والموانئ الآسيوية والأفريقية حتى تمكنوا من إخراجه من شرق أفريقيا، وقد اكسبهم جهادهم ضد البرتغاليين قوة وسمعة طيبة ليس في مناطق الخليج فحسب، وإنما أيضًا في الهند ومناطق الساحل الشرقي لأفريقيا[٢٠]، وعندما أصبحت هذه المنطقة تابعة لسَلْطَنَة عُمان؛ شهدت ازدهار تجاري وانتشر التعليم حتى أصبحت زنجبار من اكبر المدن الإسلامية وأكثرها استقرار، ونشطت الدعوة الإسلامية وانتشرت بين الشعوب الأفريقية المجاورة لها، واصبح للعرب أثار عظيمة في تلك المنطقة لاتزال معالمها واضحة وأثارها باقية إلى اليوم.[٢١]

وفي شرق إفريقيا تجلت الحكمة العُمانية في سياستها الدينية مع المذاهب الإسلامية الأخرى الموجودة في سلطنة زنجبار بعد الاستيلاء عليها، فلم يسعى الحاكم العُماني إلى فرض مذهبه على الآخرين، بل أرسل حاكمها رسالة إلى الوالي هناك يذكره بالنهج الذي سارت عليه عُمان في تعاملها مع الديانات والمذاهب الأخرى وضرورة الالتزام بذلك خارج عُمان حتى لو كان هذا المكان يخضع لسيطرتهم وحكمهم: (من سعيد بن سلطان إلى جناب كافة ربعنا بحال القضاة، كل من حكم بحكم وأخطاء فيه، يرجع إلى السؤال إلى من هو اعلم منه، كل مذهب يتبع مذهبه. هذا ما جرت العادة من قديم بذلك.[٢٢]

ولم يتوقف التسامح الديني العُماني على المذاهب الإسلامية بل كان يشمل المخالفين لهم في الديانة، فكان اليهود يمارسون النشاط التجاري بكل حرية وكان للمسيحيين حرية الديانة حتى أن مدينة مسقط كان يوجد بها كنيستان وبعض الأقليات الأجنبية

في سنة ١٦٢٥م، وهو ما أشار إليه الرحالة الإيطالي بترو دي لافال.[٢٣]

وهكذا تمتلك عُمان ارث حضاري كبير في المجال الديني بمساهمتها في نشر الإسلام وعدم دخولها في صراع على هذا الأساس مع الديانات الأخرى أو مع المذاهب الدينية الإسلامية، حتى وقتنا الحاضر وهنا يبرز أثر الموروث الحضاري الديني في تعامل النسان العُماني مع الآخر وهذا ما يجب أن يستفيد منه الأنسان العربي في بقية الدول العربية خصوصا في ظل المساعي الإنسانية والدعوات إلى التقارب والتعايش بين الديانات لتحقيق السلام العالمي، يجب على المتشددين والمتعصبين المنتميين للمذاهب الإسلامية بمختلف مسمياتها، الانفتاح على المذهب الأباضي العُماني فقد يجدون في تعامله مع المذاهب وموقفه منها ما يقرب وجهات النظر المتباعدة، ويضع حدا للدماء التي يدفعها أبناء الأمة الإسلامية ثمن للتشدد والتعصب الأعمى الذي يحصد المزيد من الضحايا يوم بعد يوم وفي مختلف بلدان العالم الإسلامي ويجعل من تعامل الأنسان العُماني مع الآخر نموذجًا يحتذى به.

خامسًا: الإرث الحضاري السياسي

عبر العصور التاريخية المتعاقبة؛ تشكلت لعُمان وأهلها شخصية سياسية فريدة في المنطقة العربية والإسلامية تقوم على الاستقلالية وعدم التبعية، والحياد التام في الصراعات الدولية والإقليمية والمحلية، وعدم التدخل في الشئون الداخلية للبلدان الأخرى والتسامح في علاقاته السياسية الخارجية على المستوى المحلى والإقليمي والدولي.

يشهد بذلك الإرث التاريخي لعُمان؛ فمنذ التاريخ القديم وقبل ظهور الإسلام لم تخضع عُمان للإمبراطورية الفارسية التي تتحدث مصادرها التاريخية عن دولة فارس والأقاليم التابعة لها ولم تذكر عُمان من ضمنها، وكانت العلاقة الحسنة بين الدولتين تفرضها المصلحة المشتركة، ولم تصل هذه العلاقة إلى درجة حكم عُمان أو جعلها إقليم تابعة لها، وقد تحقق الاستقلال لعُمان بفضل موقعها البعيد نسبيا عن الدولة الساسانية، وحكمة أبنائها السياسية التي تقوم على عدم التدخل في شؤون الآخرين، ووجهوا اهتمامهم إلى النشاط التجاري الخارجي، وعدم قيامهم بعرقلة التجارة أو الأضرار بمصالح الساسانيين.[٢٤] وقد ظلت عُمان تتمتع بالاستقلالية وعدم التبعية بعد ظهور الإسلام، بفضل إقرار الرسول (ﷺ) لحكامها بالاستمرار في مناصبهم، فكانوا يديرون أمور بلدهم بكل استقلالية في عهد الخلفاء الراشدين وبداية عهد الدولة الأموية، مستفيدين من موقع بلدهم، وبعدها عن مركز الدولة الإسلامية التي كانت منشغلة بحروب الردة وتوسيع رقعة الدين الإسلامي، ودخولها في صراع على الخلافة الإسلامية[٢٥]

وعلى الرغم من دخول عُمان في تبعية الدولة الإسلامية في عهد بني أمية ومطلع عهد الدولة العباسية، إلا إن ذلك لم يدم طويلا؛ ففي نهاية القرن الثاني الهجري، الثامن الميلادي استعادت استقلالها بتغلب العُمانيين على ولاة الدولة العباسية وبايعوا أماما يحكمهم، ومنذ تلك الفترة أصبحت عُمان ذات سيادة ومستقلة عن الدولة العباسية وقد توفرت عدة عوامل ساعدت العُمانيين على الاستقلال والمحافظة عليها منها: رغبة العُمانيين في اختيار حكامهم حسب نظام الشورى الذي يتناسب مع طبيعة بلدهم والمتمثل في الإمامة المنتخبة، وطبيعة البلاد الجغرافية من حيث الموقع لعُمان، وبعدها النسبي عن قلب الخلافة العباسية، فضلاً عن تضاريسها الصعبة التي وفرت لأهلها ملاذا حصينا يحتمون به من أي غزو خارجي يهدد كيانهم السياسي، بالإضافة إلى وحدة العُمانيين وتماسكهم والتفافهم حول قيادتهم.[٢٦]

واذا كانت مقومات المكان لعُمان قد جعلتها بعيدة عن مراكز الصراع في التاريخ القديم وفي العصر الإسلامي، فان هذه المقومات أو المميزات، قد جعلتها تجد نفسها في قلب الصراع الدولي في مطلع العصر الحديث، الذي شهد مرحلة الكشوفات الجغرافية والسعي للوصول إلى منابع تجارة البهارات في أسيا، وقد أدرك الاستعمار البرتغالي أهمية موقع عُمان ودورها في النشاط التجاري في المحيط الهندي فجمع كل قوته وهاجم السواحل العُمانية واحرق جميع السفن التي وجدها في (قريات، وخورفكان) ومسقط التي استولى عليها في سنة ١٥٠٨م، فكانت عُمان أول منطقة شهدت فظاعة الغزو البرتغالي وقسوته فكانت مدافعهم تقصف المدن وتدمرها ونيرانهم تحرق ما تبق منها ولم يسلم الأسرى من الرجال والنساء والأطفال من وحشيتهم فكان يتم جدع أنوفهم وتقطيع أذانهم قبل اطلاق سراحهم[٢٧]

ومما ساعد البرتغاليون في إحكام سيطرتهم على المنطقة افتقاد القوى المحلية للوحدة فيما بينها بسبب انقساماتها وخلافاتها، فضلا عن أن القوى

الإسلامية الكبرى-الدولة العثمانية والصفوية انشغلتا في صراعاتهما المذهبية بل بلغ الأمر بالدولة الصفوية إلى التحالف مع البرتغاليين للتخلص من منافسة الدولة العثمانية لها في سواحل الخليج[٢٨] ولم يستسلم العُماني أمام سطوة الاستعمار البرتغالي وقوة بطشه، وتخاذل القوى العربية والإسلامية عن نصرته، واستطاع أن يبني أسطولا بحريًا قويًا جعل عُمان تبلغ أزهى مراحل قوتها في القرن السابع عشر الميلادي بتحقيق الانتصار على الاستعمار البرتغالي الذي سبق والحق الهزيمة بدولة المماليك والدولة العثمانية، فكان هذا الانتصار بمثابة رد الاعتبار للأمة العربية والإسلامية وحماية لها من المطامع الأجنبية، فقد أصبحت القوى الأوربية الأخرى الهولندية والبريطانية والفرنسية تعمل للأسطول العُماني ألف حساب قبل تفكيرها بالسيطرة على المناطق العربية والإسلامية[٢٩]

ولم يكن العُمانيون حريصين على حرية واستقلال بلدهم فحسب، بل إنهم كانوا يقدموا المساعدة للبلدان الأخرى التي تربطهم بها علاقة حضارية وتاريخية، حتى إنهم لم يتخلوا عن دولة فارس التي تحالفت مع الاستعمار البرتغالي ضدهم، وأرسلوا أسطولهم لتحريرها، وبعد انتصار العُمانيين واستيلائهم على مناطق نفوذ البرتغاليين في بلاد فارس لم يتخلوا عن قيمهم الحضارية وبسطوا سيطرتهم عليها، بل نجدهم ينسحبون من الجزر الفارسية التي انتزعوها من البرتغال ولوكان ذلك مقابل مبالغ مالية تعويض لهم على ما أنفقوه في سبيل طرد البرتغاليين منها.[٣٠]

كما أرسلوا أسطولهم إلى السواحل والموانئ الهندية في نهاية القرن السابع عشر، والحقوا بالبرتغاليين خسائر كبيرة، ولم يفكر العُمانيون بالسيطرة على هذه المناطق على الرغم من قدرتهم وترحيب سكان هذه البلاد بهم ولم يتعاملوا مع البرتغاليين بنفس الوحشية التي قاموا بها عندما سيطروا على الأراضي العُمانية، فكانت هذه الانتصارات خير شاهد على التعامل الإنساني العُماني مع الشعوب المغلوبة واحترامها للأديان وحرية إقامة الشعائر، وقد وصفها القائد البريطاني هاملتون الذى جاء إلى مسقط عام ١٧٢١م، قائلاً: إن العرب كانوا يشنون غاراتهم ضد المستعمرين البرتغاليين على الساحل الهندي يدمرون المدن والقرى ولكنهم لم يهاجموا الكنائس ولم يقتلوا أعزلا ولا طفلا، وكانوا يعاملون أسراهم معاملة حسنة بخلاف البرتغاليين الذين كانوا يعاملون أسراهم معاملة وحشية ويجبروهم على الأعمال الشاقة حتى ولو باستخدام السياط، ثم ذكر أن العُمانيين العرب كانوا يمنحون أسراهم بدل أرزاق كتلك التي يعطونها لجنودهم.[٣١]

وبعد نجاح العُمانيين في الحاق الهزيمة بالبرتغاليين وطردهم من ميناء مسقط، كان العالم يعتقد أن عُمان سوف تدخل في عداء مع أية دولة أوربية بسبب ما اقترفه الاستعمار البرتغالي في حقها، ولكن العُماني اتبع سياسة متوازنة في تعامله مع الوضع الذي يواجه بلده مدركا مدى أهمية موقعها والمخاطر التي تهددها، ومدركا قوته الحقيقية وأنه غير قادر على حمايتها بقوة أسطوله البحري في الأيام القادمة في ظل فارق (القوة والقدرة) التي تتمتع بها الأساطيل البحرية الأوربية، ولذلك فقد لجأ إلى حكمته وخبراته السابقة في تعامله مع الأطماع الخارجية، فاستغل مقومات المكان، وجعل هذه الأهمية وهذه المطامع وسيلة لحماية استقلال عُمان بالاعتماد على سياسة، (الباب المفتوح) التي تقوم على التعاون مع جميع الدول الأجنبية، ولتحقيق ذلك قام إمام عُمان بدعوة شركة الهند الشرقية الهولندية إلى تأسيس مركز تجاري لها في مسقط، وقد كانت هذه السياسة محل تقدير السلطات الهولندية التي رفضت الضغوط الفارسية التي تطالبها بالتحالف معها ومساعدتها ضد العرب.[٣٢] كما أنها كانت أول دولة أوربية تستخدم إمكانياتها لمنع قيام تحالف برتغالي بريطاني للسيطرة على عُمان سنة ١٦٧٠م.[٣٣] واستجابت لمطالب إمام عُمان وقامت بتأسيس مركز تجارى لها في مسقط سنة ١٦٧٤م، وبفضل السياسة العُمانية تمتع العرب بحرية الملاحة إلى مالابار والمياه الإندونيسية مقابل تمتع الهولنديين بحرية الملاحة في الخليج العربي[٣٤]

وعلى الرغم من حرص عُمان على التعاون مع الدول الأجنبية فإنها ظلت محافظة على استقلالها، مما يؤكد ترسخ قيم الحرية والاستقلال في شخصية الإنسان العُماني عدم تسامحه مع حكامه الذين يستعينون بالخارج لاحتلال بلدهم مقابل تحقيق مطامع شخصية، وهذا ما حدث في مطلع القرن الثامن عشر عندما تولى الإمامة سيف بن سلطان اليعربي سنة ١٧٢٨م، والذي استعان بالفرس ومكنهم من السيطرة على عُمان لمساعدته بالاحتفاظ بحكم عُمان، فاجتمع العلماء والمشايخ واهل الحل والعقد وقاموا بخلعه

من الإمامة ومبايعة إمام قادهم إلى التخلص من الحكم الفارسي[٣٥] ونتيجة للمطامع الفارسية عززت عُمان علاقتها بالدول الأوربية للحصول على دعمها، فعقدت معاهدة صداقة مع بريطانيا في سنة ١٧٩٧م، حتى تستفيد من قوتها ومكانتها الدولية، فبلغت عُمان في عهد السلطان سعيد بن سلطان الذي دام حكمه من ١٨٠٤م- ١٨٦٥م، ذروة عزها وأوج مجدها فقد كانت المراكب العُمانية ذات الأعلام الحمراء ترابط باستمرار بين الموانئ العربية والممتلكات الأفريقية، فتحقق لعُمان من وراء تحالفها مع بريطانيا مكاسب اقتصادية من تجارتها الخارجية ووفر لها الحماية من المطامع الإقليمية سواء كانت فارسية أو وهابية من داخل شبة الجزيرة العربية.[٣٦]

وحتى لا يمنح العُمانيون بريطانيا حق الانفراد بالسيطرة على قرارهم السياسي قاموا بعقد اتفاقية صداقة مع الولايات المتحدة الأمريكية في سنة ١٨٣٣م، فكانت عُمان بهذه الاتفاقية ثاني دولة عربية تقيم علاقة مع الأمريكيين بعد دولة المغرب، والدولة الأولى في منطقة الخليج، وقد سعت عُمان من خلال هذه الاتفاقية إلى تحقيق نوع من التوازن مع القوى الأجنبية الأخرى- مثل فرنسا وبريطانيا- الطامعة في مد نفوذها على منطقة الخليج والمحيط الهندي.[٣٧]

وتمثل هذه المعاهدة اعتراف بأهمية الإنسان العُماني وأهمية بلاده، مما دفع الدول الأوربية إلى عقد معاهدات مع سلطان عُمان فتم عقد معاهدة مع فرنسا في سنة ١٨٤٤م، لتشتعل المنافسة الاستعمارية بين فرنسا وبريطانيا ويتم الاتفاق بينهم في سنة ١٨٦٢م، على التعهد باحترام استقلال مسقط وزنجبار.[٣٨] وعندما حاولت بريطانيا في سنة ١٨٩١م، أن تحول سَلْطَنَة عُمان إلى محمية بريطانية تسلحت فرنسا ببيان سنة ١٨٦٢م، لإيقاف المطامع البريطانية وتم عقد معاهدة بين الدولتين في سنة ١٨٦١م، عرفت باسم معاهدة الصداقة والإبحار والتجارة.[٣٩]

وقد حفظت هذه السياسة لعُمان استقلالها على الرغم من ظهورها الشكلي تحت المظلة البريطانية وقد أدرك ذلك الباحث الفرنسي جان جاك بيري وعبر عنه بقوله: (ليس هناك في العالم بلدان كثيرة كسَلْطَنَة عُمان محرمة على الأجنبي وحتى الحرب العالمية الثانية التي رأت القواعد العسكرية الجوية الحليفة تقام في(صلالة) وجزيرة(مرزاح) لم تحاول أن تقطع على الجبال المرتفعة المتراصة عزلتها).[٤٠] وعند تتبع التعامل السياسي للإنسان العُماني مع الآخر في وقتنا الحاضر نجد أنه مازال متأثرًا بموروثه الحضاري متبعًا التعامل نفسه.

يشهد القرن العشرين على وصول الحكمة العُمانية إلى أعلى درجاتها في تعاملها مع الأوضاع الدولية في النصف الثاني منه، باعتمادها على سياسة الحياد تجاه الصراعات المحلية والإقليمية والدولية وعدم السماح للقوى المتصارعة باستخدام أراضيها للاعتداء على الأخرين، وعدم التدخل في الشؤون الداخلية للبلدان الأخرى القريبة منها والبعيدة عنها، وقد ترجمت عُمان ذلك على ارض الواقع بالتنازل عن منطقة بلوشستان وميناء الجوادر لجمهورية باكستان في سنة ١٩٧١م.[٤١] ونجاحها في حل مشاكل الحدود مع جيرانها بالطرق السلمية، وخصوصا مع الدولة السعودية أكثر دول المنطقة لديها مطامع ومشاكل حدودية مع جيرانها، إذا قامت عُمان بحل خلافتها الحدودية مع السعودية حول واحة البريمي، عندما قام السلطان قابوس بزيارة الملك فيصل سنة ١٩٧١م، وفي أعقاب هذه الزيارة صدر بيان مشترك يتضمن اعتراف السعودية بالحقوق العُمانية في واحة البريمي.[٤٢] وبفضل العلاقة المتوازنة التي اتبعتها عُمان مع جميع الدول حصلت على مساعدة مشتركة من السعودية وإيران والولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ضد ثورة ظفار وتم القضاء عليها وبعد ذلك انسحبت القوات الإيرانية التي ساندت القوات العُمانية في سنة ١٩٧٧م.[٤٣]

وقد تجلت الحكمة العُمانية في التعامل مع الآخر سواء القريب منها أو البعيد عنها في الربع الأخير من القرن العشرين والذي شهد تفجر الأوضاع والمشاكل في منطقة الخليج، ومنها اشتعال الحرب العراقية الإيرانية (١٩٨٠-١٩٨٨م) والتي نجحت عُمان في الحفاظ على علاقتها مع جميع الأطراف؛ ففضلا عن إبقاء خط الاتصال مفتوحا مع طهران، لعبت عُمان دور الوسيط في مرات عديدة بينها وبين الدول العربية، وبينها وبين القوى الغربية كبريطانيا والولايات المتحدة الأميركية؛ ففي الحرب العراقية-الإيرانية، احتضنت مسقط محادثات سرية بين الطرفين المتنازعين لوقف إطلاق النار، ورفضت الدعوة لمقاطعة إيران وعزلها دبلوماسيًا واقتصاديًا في العام ١٩٨٧، وكذلك رفضت السماح للعراق باستخدام أراضيها في الهجوم على جزر أبي موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى، وبعد

انتهاء تلك الحرب توسطت عُمان لإعادة العلاقات بين إيران والسعودية وإيران والمملكة المتحدة.[٤٤]

واستمرت عُمان في اتباع سياسة الحياد والحفاظ على علاقة متوازنة مع جميع أطراف الصراعات في حرب الخليج الثانية (١٩٩٠-١٩٩١م)، وفي الحرب اليمنية سنة ١٩٩٤م، والحرب في اليمن وتدخل التحالف السعودي الإماراتي فيها منذ سنة ٢٠١٥م، وصولاً إلى الوقت الحاضر وموقفها العقلاني والمنطقي برفضها للحصار الذي فرضته بعض الدول الخليجية على الشعب القطري في ٥ يونيو ٢٠١٧م.

خَاتِمَةٌ

لكي يقوم المكان والإنسان بدور هام في الحياة البشرية يرتقي إلى مستوى يستحق أن يطلق عليه صفة الدور الحضاري، لابد من وجود تربة خصبة تتمثل بالمقومات التي يمتلكها المكان ولا يكتمل دورها وتتحقق الفائدة منها إلا بتعامل حكيم من الإنسان الذي يعيش على هذا المكان أو يتعايش مع هذه المقومات، فليس كل مكان أو دولة مستعدة للقيام بدور حضاري في تاريخها وليس كل شعب قادر على ذلك، وحتى في حالة وجود المكان، فقد تحول تصرفات الأنسان بين تحقيقه، وربما تكون سببًا في جعل مقومات المكان الحضارية تتحول إلى معاول هدم حضارية تلحق الأذى به وبالأخرين، قريبين منه أو بعيدين عنه.

وبعد إطلالة مختصرة وعميقة للإرث الحضاري العُماني في أهم مجالات الحياة، يتضح لنا أن موقع عُمان والمقومات التي يمتلكها، وحكمة الإنسان العُماني قد ساهما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة في ثبات واستمرار الأسلوب الحضاري في التعامل مع جميع الأمم، سواء كانت هذه الأمة تستند على مفهوم العرق واللغة ونعنى بذلك الأمة العربية أو على مفهوم الدين ليتضمن الأمة الإسلامية، أو على مفهوم الإنسانية ليشمل جميع البشر الذين يعيشون في هذا العالم بمختلف مسمياتهم ولغاتهم ومعتقداتهم.

نتائج الدراسة

وبعد أن فرضت الحقائق التاريخية نفسها معبرة عن الموروث الحضاري العُماني في التعامل مع الآخرين، تنتهي هذه الدراسة بالنتائج التي تجعل هذا الموروث أقرب للوعي وللفهم، وتقدم الدلائل على امتلاك عُمان للإمكانيات التي تساعدها في ثبات واستقرار ونجاح سياستها وعلاقتها مع جميع الدول.

١- يستند الإنسان العُماني في تعامله مع الآخر على أرث حضاري أستمده من الموقع الجغرافي الاستراتيجي لبلده الذي منحه فرصة إقامة علاقة حضارية مع العالم الخارجي، معتمدًا على التجارة وعلى الثروات الطبيعية التي تمتلكها بلده في ظل بيئة قابلة للتعاون والتعايش، كما ساعد هذا الموقع في امتلاك الإنسان العُماني لصفات حضارية تقوم على الانفتاح والتعاون والاحترام المتبادل مع الشعوب التي تعامل معها في رحلته إليها أو في حالة استقباله لأبنائها.

٢- استغل الإنسان العُماني مقومات موقع بلده الذي لم يكن يتأثر بتدهور النشاط التجاري في البحار التقليدية للتجارة عبر التاريخ، فقد منحها موقعها أهمية دائمة للتجارة مهما تعددت أو تبدلت المسالك والدروب.

٣-تمتلك عُمان أرثًا حضاريًا دينيًا بمساهمتها في نشر الإسلام في قارتي أسيا وأفريقيا وتطبيقها لمبدأ التسامح الديني وعدم خوضها للصراعات المذهبية التاريخية، وقد ترتب على الإرث الحضاري الديني العُماني ما يلي:

- وفر للإنسان العُماني في الوقت الحاضر القدرة على عدم الخوض في الصراع الذي تعاني منه المنطقة العربية والإسلامية بسبب التشدد والتعصب الديني.
- جعل أعُمان وأهلها الأكثر قبولا عند جميع الأطراف المتصارعة دينيا وهذا يؤهلها للقيام بدور حضاري في تقريب وجهات النظر المتناقضة بين الشعوب الإسلامية.

٤- ساهم الإرث الحضاري السياسي العُماني الذي يقوم على مبدأ الحياد وعدم التدخل شؤون الآخرين في اتباع سياسة حكيمة من خلال:

- عدم المشاركة في الصراعات المتعددة والمتنوعة في منطقة الخليج.
- ثبات الموقف السياسي في ظل الصراعات والتغيرات التي تشهدها المنطقة العربية

والإسلامية في عهد الثورات العربية الجديدة والثورات المضادة، وفي ظل الانقسام بين المواقف السياسية وتلونها بين بلد وأخر تجد عُمان منشغلة بحالها، ولم تؤيد طرفا على أخر، مما يجعلها تحتفظ بعلاقة جيدة مع جميع الدول.

- الاستقلالية وعدم التبعية التي شكلت شخصية الإنسان العُماني ويتضح ذلك في موقفه من الدعوات التي أطلقتها بعض دول مجلس التعاون الخليجي، في قمة الكويت نهاية العام ٢٠١٣م، للتحول من التعاون إلى الاندماج الكامل، ومطالبة عُمان للآخرين بالتروي وتحكيم العقل وعدم الانجرار وراء العواطف أو الأهداف الضيقة وغير الواقعية، وقد أكد صواب الموقف العُماني قيام ثلاث دول من أعضاء دول مجلس التعاون الخليجي في 0 يونيو ٢٠١٧م، بفرض حصار بري وبحري وجوي على دولة قطر وهي عضو مؤسس لمجلس التعاون الخليجي.

الهَوامِشُ:

(١) عبد الله بن ناصر الحارثي: "**الأسطول الحربي العُماني ودورة في الدفاع عن عُمان منذ القرن الثاني الهجري وحتى منتصف القرن الثالث الهجري**"، الندوة العالمية الخامسة، الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، (كلية الآداب الرياض ٢٠٠٣م). ص١٧٨.

(٢) عبد الله يوسف الغنيم: **أقاليم الجزيرة العربية بين الكتابات العربية القديمة والدراسات المعاصرة**، الجمعية الجغرافية، (جامعة الكويت ١٩٨١م)، ص٤١.

(٣) عبد الرحمن عبد الكريم العاني: **تاريخ عُمان في العصور الإسلامية الأولى**، الطبعة الأولى، (لندن، دار الحكمة،١٩٩٩م). ص١٢٩.

(٤) عبد الفتاح أبو علية: **أضواء على جوانب من التأثير الحضاري العُماني في شرق أفريقيا**، مجلة الدرعية، المجلد الثاني، العددان (٦،٧) نوفمبر ١٩٩٩م، الرياض. ص٢٣٥.

(٥) صحيفة الوسط البحرينية: **الصلات التجارية بين عُمان وشرق إفريقيا في العصر الوسيط**، العدد (١٣٧٦)، الثلاثاء ١٣ يونيو ٢٠٠٦م، ص١٣
http://www.alwasatnews.com/1376/news/read/578702/1.html

(٦) هلال الحجري: **عُمان في عيون الرحالة البريطانيين قراءة جديدة للاستشراق**، ترجمة خالد البلوشي (لبنان: مؤسسة الانتشار العربي ٢٠١٣م). ص١٠.

(٧) أبو علية، ص ٢٣٣.

(٨) أنور عبد العليم: **الملاحة وعلوم البحار عند العرب**، سلسلة عالم المعرفة ١٣، (الكويت: المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب يناير١٩٧٩م). ص١٥.

(٩) عادل محي الدين الآلوسي: **تجارة العراق البحرية مع إندونيسيا**، (دار الحرية للطباعة، بغداد، ١٩٨٤م). ص٧٩.

(١٠) أنور عبد العليم، ص١٨.

(١١) عبيد على بن بطي وآخرون: **كتابات الرحالة والمبعوثين عن منطقة الخليج العربي**، مركز جمعة الماجد للثقافة والتراث (الامارات العربية المتحدة، دبي، ١٩٩٦م)، ص٦١.

(١٢) الآلوسي، ص٤٥.

(١٣) يحيى محمد أحمد غالب، **الهجرات اليمنية إلى جنوب شرق آسيا (إندونيسيا، ماليزيا، سنغافورة)، في النصف الأول من القرن العشرين**، رسالة دكتوراه، قسم التاريخ جامعة المنوفية، ٢٠١١م. ص٥٠.

(١٤) جون ويلكسون: **صحار تاريخ وحضارة**، الطبعة الثانية (سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٩٨م. ص١٣.

(١٥) عبد الرحمن بن علي السديس: **العلاقة بين زنجبار وعُمان (١٨٩١-١٨٦١م)** (الرياض، الدارة، العدد (٢)، السنة (٢٥)، ١٤٢٠هـ). ص١٨٤.

(١٦) جان جاك بيري، **الخليج**، ترجمة نجدة هاجر، سعيد الغز، الطبعة الأولى، (بيروت، المكتب التجاري للطباعة والتوزيع والنشر، ١٩٥٩م)، ص١٩٠.

(١٧) تساهم تعاليم المذهب الأباضي في تحقيق ذلك بشكل كبير فنجد أن: الأئمة في المذهب الأباضي نوعان رئيسيان: الأمام الشاري وهو إمام فترة التوسع والجهاد، والإمام الدفاعي أو المدفعي ويكون واجبه الدفاع عن المسلمين ضد الأعداء أكثر من الهجوم والتوسع وغالبية الأئمة الأباضية في عُمان كانوا على الدفاع. ولا يجوز عند الإباضية أن يكون هناك أكثر من إمام واحد، وبعد أن انتهت فترة الدعوة السرية والنضال وبعد أن نجح الإباضية في تأسيس كيان سياسي لهم في عُمان، قاموا بتغيير وتعديل نظريتهم، ففترة النضال السري تختلف عن فترة السلطة والحكم، وهنا لابد من القول بأن المذهب الأباضي أظهر مرونة واعتدالاً ونظرة توفيقية بحيث يتلاءم مع الظروف السياسية والاجتماعية في عُمان، وهنا يكمن سر نجاح الإباضية واستمرارها لأكثر من اثني عشر قرناً من الزمان.- فاروق عمر، **التاريخ الإسلامي وفكر القرن العشرين**، ط (٢)، (بغداد، مكتبة النهضة،١٩٨٥م)، ص(٢٢-٢٤-٣٢).

(١٨) يحيى محمد أحمد غالب، **الهجرات اليمنية الحضرمية الحديثة إلى إندونيسيا في الفترة من (١٨٣٩م - ١٩١٤م)**، الطبعة الأولي، (اليمن حضرموت، تريم للدراسات والنشر، ٢٠٠٨م)، ص١٨.

(١٩) فيصل السامرائي، **الأصول التاريخية للحضارة العربية والإسلامية في الشرق الأقصى**، ط. (٢)، (بغداد، دار الشئون الثقافية العامة، ١٩٨٦م)، ص٣١.

(٢٠) أبو علية، ص٢٣٧.

(٢١) عمر سالم بابكور، **الإسلام والتحدي التنصيري في شرق أفريقية (١٨٤٤-١٩٥٠م)**، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ١٩٩٠م، ص٤٥.

(٢٢) ناجية محمد صالح الخريجي، **التاريخ الاقتصادي والاجتماعي والثقافي لسلطنة زنجبار الإسلامية في شرق أفريقيا (١٨٠٦-١٩٤٧م)**، رسالة دكتوراه، قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية، كلية الشريعة والدراسات الإسلامية، جامعة أم القرى المملكة العربية السعودية، ١٩٩٣م.ص٣٢٠.

(٢٣) ويندل فليبس، **رحلة إلى عُمان**، ترجمة، محمد أمين عبد الله، (سلطنة عُمان، وزارة التراث القومي والثقافة، ١٩٨٦م) ص١١.

(٢٤) عبد الرحمن عبد الكريم العاني، **تاريخ عُمان في العصور الإسلامية الأولى**، الطبعة الأولى، (لندن، دار الحكمة، ١٩٩٩م)، ص١١٣.

(٢٥) العاني، ص١١٧.

(٢٦) عبد الله بن ناصر الحارثي، **الأسطول الحربي العُماني ودورة ودورة في الدفاع عن عُمان منذ القرن الثاني الهجري وحتى منتصف القرن الثالث الهجري**، الندوة العالمية الخامسة، الجزيرة العربية من قيام الدولة العباسية حتى نهاية القرن الرابع الهجري، كلية الآداب الرياض ٢٠٠٣م، ص١٨٠.

(٢٧) بطي، ص١٤٠.

(٢٨) جمال زكريا قاسم، **الصراع العُماني البرتغالي في القرنين السادس عشر والسابع عشر**، (مصر، مجلة البحوث والدراسات العربية، العدد ١٠، ١٩٨٠م)، ص٣٣٩.

(٢٩) محمد حسن العيدروس، **تاريخ الخليج العربي الحديث والمعاصر**، الطبعة الثانية، (القاهرة، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، ١٩٩٨م)، ص٨٩.

(٣٠) بطي، ص١٩٨.

(٣١) العيدروس، ص٩٥،٩٦.

(٣٢) بطي، ص٢٠٧.

(٣٣) نيقولاوس فان دام وآخرون، **هولندا والعالم العربي منذ القرون الوسطي حتى القرن العشرين**، ترجمة اسعد جابر، (هولندا، منشورا وزارة الخارجية الهولندية، ١٩٨٧م)، ص٤٣.

(٣٤) فان دام، ص٣٨.

(٣٥) الخريجي، ص٢٧.

(٣٦) بيري، ص١٩٧.

(٣٧) عيسى بن محمد بن عيسى الفارسي: **العلاقة العُمانية الأمريكية (١٨٣٣-١٩١٦)**، (القاهرة، حوليات آداب عين شمس، المجلد (٤٤)، أبريل - يونيو ٢٠١٦)، ص٥١٩.

(٣٨) بيري، ص١٩٨.

(٣٩) بيري، ص١٩٢.

(٤٠) بيري، ص١٩٤.

(٤١) العيدروس، ١٩٩٨م.

(٤٢) محمد رشيد الفيل، **مشكلات الحدود بين إمارات الخليج العربي**، (الكويت، دراسات الخليج والجزيرة العربية المجلد الثاني، العدد الثامن، ١٩٧٦م)، ص٤٧.

(٤٣) عبد الحكيم عامر الطحاوي، **العلاقات السعودية الإيرانية وأثرها في دول الخليج (١٩٥١-١٩٨١)**، (الرياض، مكتبة العبيكان، ٢٠٠٤م)، ص١٣٩.

(44) https://www.noonpost.com/content/1722